أبحاث

دراسة في أثر الحضارة العربية على الحضارات الإنسانية

الدكتور

صايل خطايبه

Received :1 / 1 / 2026
Revised: 15 / 1 / 2026
Accepted: 25 / 1 / 2026
Published: 1 / 2 / 2026

د. صايل خطايبه
ازمال / الأردن
sayelzhk@gmail.com

دراسة في أثر الحضارة العربية على الحضارات الإنسانية

الملخص

تمثل هذه الدراسة طابعا تاريخيا مميزا سعى الباحثون إليه للوصول إلى معرفة نشوء الحضارات، لكن هذه الدراسة جاءت لتقطع الشك باليقين أنّ تاريخ الحضارات يعود إلى أرض العرب كما أكدت أبحاث العلماء الأوربيون الموثقة في الدراسة انطلاقا من الموضوعية العلمية.

ولذلك فإن قصة الحضارة لم تعد خافية على أحد وإن حاول البعض من منظري القوى الاستعمارية كتابة تاريخ الأمة العربية، وأن هذه الدراسة تدحض ادعاءاتهم.

Abstract

This study represents distinctive historical character Researchers sought him out to gain knowledge about the emergence of civilizations, but this study came to dispel all doubt the history of civilization dates to the land of the Arabs as confirmed by the documented research of European scientists in the study based on scientific objectivity.

Therefore, the story of civilization it is no longer a secret to anyone although some theorists of colonial powers tried writing the history of Arab nation, this study refutes their claims.

المقدمة

الحضارة الإنسانية هي نشاط بشري ودي يكتسبه الانسان نتيجة تجاربه في الحياة ورغبة في العيش مع الآخرين انطلاقا من تكوينه الفكري والاستخدام الإيجابي للعقل البشري، حيث عمل الانسان منذ بداية النشاط الذهني على تسخير الطبيعة بمختلف مكوناتها النباتية والحيوانية من اجل توفير بيئة آمنة للعيش تهدف الى اشباع رغباته المعيشية اليومية، وبذلك التكوين الفكري الإنساني استطاع العرب ان يخترعو العجلة التي تجرها الخيول منذ الالف الخامس قبل الميلاد، وزراعة القمح لأول مرة في التاريخ البشري في الآلف الثالث قبل الميلاد في سهل حوران وانطلاقا من ذلك سخر العرب لاحقا الصناعة والزراعة والطب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم لخدمة الانسان، ولكونهم أولى الحضارات البشرية استخداما للزراعة والصناعة لذا فقد كانوا صناع للتاريخ البشري على مر العصور القديمة، ومن هنا فقد كانت الحضارة العربية السباقة نحو المجد على المسارين الإنساني والديني كذلك، انطلاقا من اور جنوب بلاد الرافدين، حيث مولد سيدنا إبراهيم عليه السلام (أبو الأنبياء) قال تعالى " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين " صدق الله العظيم .

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسه الى توضيح الدور العربي في نشؤ الحضارات الأنسانية الأخرى، حيث ساهمت كافة الحضارات العربية السومرية والبابلية والفرعونية والنبطية والكنعانية والفنيقية وغيرها من الحضارات العربية في

نشؤ وتأسيس الحضارات الإنسانية المختلفه، انطلاق من أولى الحضارات البشرية قد تبلورت على ارض العرب في الالف العاشر قبل الميلاد.

أهمية الدراسة:

الحضارة الانسانية بدأت منذ ان بدأ الانسان ينظم امور حياة اليومية بمختلف متطلباتها الصحية والغذائية والتنقل من مكان الى آخر والدفاعية والهجومية أيضا (العسكرية). بالإضافة الى تنظيم علاقات الانسان مع الأخر بمختلف الجوانب الاجتماعية، والسياسية، والتجارية والدينية. هذه الجوانب مجتمعة تمثل التطور الانساني لحياة البشرية ابتداء من عهد سيدنا أدم الى يومنا هذا. أذن الحضارة بشكل عام هي نتاج لجهد بشري منظم أستطاع عبر السنين الطويلة ان يمر بمختلف التجارب الحياتية اليومية برأساء نمط حياتي منظم تنتظم به سلوكيات الافراد داخل مجتمع معين بهيكلة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والصحي والزراعي والعسكري أضافة الى الديني او الروحاني، وبهذا التنظيم لسلوك الافراد داخل المجتمع استطاع الانسان ان يرسي نمط حياتي منتظم ويتطور تباعا من جيل الى آخر الى ان توصلت حضارة الانسان الى ما هو علية اليوم. نعم هنالك فوارق في تقيم الجانب الحضاري للإنسان وهناك تفاوت بمستوى الحضارات الانسانية، لكن الحضارة كمسيرة مستمرة رغم هذا التفاوت بين بني البشر ورغم الاختلاف ورغم الاحتكار لبعض جوانب الحضارة واختصارها على البعض دون الآخر.

هذا من جانب أما على الجانب الآخر، فالحضارة مسيرة أنسانية بدأت من حيث بدء الانسان، تختلف الشعوب مع بعضها البعض على مكان نزول سيدنا آدم علية السلام، كلا من العرب والروم والفرس والهنود يدعون بأن سيدنا آدم قد هبط من السماء على أرضهم، وهذا الاختلاف بين بني البشر لا يفسد للود قضية الا ان الامور تأخذ بمعطياتها الملموسة وليس الشفهية، فأول حضارة أنسانية سجلت على الكرة الارضية هي الحضارة العربية القديمة (حضارة

العبيديين العرب) التي قامت جنوب أرض الرافدين بالمنطقة المعروفة اليوم بالخليج العربي. كانت ارض الخليج العربي قبل ان تغمرة المياة نتيجة لارتفاع منسوب البحر ارضا خصبة يمر منها نهري دجلة والفرات بمسرب واحد، اي يلتقيان قبل ان يمرا في الخليج العربي، وبأرض الخليج العربي قامت أولى الحضارات البشرية منذ الآلف الثامن قبل الميلاد. هذا ماأكدتة نتائج أبحاث سفينة الأبحاث الألمانية " ميتور " في قاع الخليج انة: " نتيجة لانخفاض مستوى مياة البحر خلال العصر الجليدي الأخير الى حوالي ١١٠ متر عما هو علية اليوم ، كان الخليج العربي أرضا يابسة تتكون من منخفض يبلغ طولة حوالي ١١٠٠ كيلو متر ، ووسطي عرضة ١٨٠ كيلومترا، ولا يتجاوز عمق غورة ٣٠ – ١٠٠ متر ، وتشق قاع الخليج قناة حفرتها مياة النهرين تبدأ قرب الفاو لتصب في خليج عمان ، ومن الجدير الملاحظة، أن تضاريس قاع منطقة الخليج تشبة الى حدا كبير طبيعة الارض التي يجتازها نهر الفرات في سوريا الى درجة دفعت الباحثين الى الاعتقاد بأن حوض الخليج يكاد يكون أستمرار للأرض السورية ، فلا يفصل المنخفض الا السهول الرسوبية المنبطحة المعالم . أعتبارا من اواخر العصر الجليدي الرابع " الاخير " اي منذ حوالي ١٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد تأخذ مياة البحر بألارنفاع بفعل مناخ دأفيء يسود الكرة الارضية خلال عصر الهولوسين " الدفيء " وبأستثنأء أنقطاعين عارضين حدث الاول حوالي ١٠٠٠٠ قبل الميلاد ، والثاني حوالي ٨٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، بفعل التذبذبات المناخية تابع ماء البحر أرتفاعة وأستمر يغمر منطقة الخليج حتى استقر مستواة تقريبا ، أعتبارا من حوالي ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد على وضعة الراهن في القرن العشرين ، وبذلك أنفصلت المرتفعات التي ستعرف فيما بعد باسم البحرين و فيليكا و بوبيان وغيرها من الجزر عن الارض العربية التي تحولت بدورها الى شبة جزيرة وبلغ أرتفاع منسوب المياة فيها الى ١٢٠ متر ." (١) هذة الحضارة العربية القديمة التي تعود للألف

العاشر قبل الميلاد او الثامن قبل الميلاد، كما يؤكد علماء البحث الماني لتفسير وجود " جنة عدن ". التي تحدث عنها القرآن الكريم، حيث كانت طبيعة الارض بقمة العطاء، منطقة جغرافية طولها ١١٠٠ كيلو متر وعرضها ١٨٠ كيلو متر، يمر منها نهري دجلة والفرات متحدين بنهر واحد تلك المنطقة التي غرقت بالماء فيما بعد نتيجة لارتفاع منسوب مياة البحر حيث أنتقل سكانها نحو الشمال وأقاموا في منطقة أسمها سومر وأريدو وأور لذلك سمي العرب العبيديين بالسومرين نسبة الى الاسم الجغرافي للمدينة التي ارتحلو اليها من أرض الخليج العربي . سميت تلك الحضارة فيما بعد بالسومرية وهي اليوم كما يخبرنا العلماء بأنها أقدم الحضارات في العالم التي ما زالت أثارها ماثلة من لغة وتراث، أما حضارة العبيديين اسلاف السومريين فقد غمرتها مياه البحر، وأصبحت جزء من الماضي العربي . يؤكد عالم الأثار الأمريكي جوريس زاريش الذي ظل يعمل في المنطقة الشرقية في الاراضي السعودية زهاء عشرة اعوام حيث توصل من خلال المكتشفات الى النتائج نفسها التي أكدتها سفينة الابحاث الألمانية "ميتور " ، وقد اجرت معة احدى المجلات الأمريكية لقاء مطول في عددها الصادر في أيار عام ١٩٨٧ تحت عنوان " هل تم العثور أخيرا على جنة عدن " أكد فية أن الموطن الاصلي للعبيديين هو الطرف الشرقي لشبة جزيرة العرب وأنهم أسلاف السومريين الذين خرجوا من أرض الخليج حيث " جنة عدن " العربية ، وكانوا هم لا السومريين بناة المدن والحضارة في جنوب العراق . [٢] وبهذا التاكيد الذي أثبتة علماء المناخ لم يعد هناك اي تفسير عن خروج السومريين العرب ومن اين جاءوا فالثابت انهم خرجوا من منطقة الجنة العربية وهي ارض الخليج الى جنوب ارض الرافدين، وأكدت أبحاث سفينة الميتور الألمانية ايضا بأن العرب العبيديين وعند رحيلهم بالتدريج نتيجة لصعود الماء الى ارضهم أن ينتشروا الى الجوار الشرقي فنقلوا الى شوطي الهند الغربية ما دعي بحضارة ما قبل الهندية والتي تعود للألفين

السادس والخامس قبل الميلاد. وقد دعيت اللغة المكتشفة هناك ب " الدرويدية " وهي عربية شقيقة للعربية السائدة حينذاك في شرق شبة الجزيرة العربية [٣].

على الجانب الآخر للحضارة العربية تعود أقدم حضارة في وادي اندوس في نحو ٤٠٠٠ قبل الميلاد الى ٢٠٠٠ قبل الميلاد، واستنتج بعض الباحثين أن هذة الحضارات قد وصلت الى الهند من أقطار الشرق الأدنى القديم أو كانت ذات صلة بها. وقد تميزت تلك الحضارات باعتماد سكانها على الزراعة المستقرة وتربية الحيوانات، وتميزت مدن أولئك السكان القدماء بالطرق المستقيمة والمباني المختلفة والأقنية المفيدة ... الخ. وكانت تلك الجماعات ذات بشرة سمراء استوطنت الهند وعرفت بأسم درافيد نسبة الى لغتهم الدرافيدية * ... وربما كان أولئك الدرافيديون الجنس السائد في الهند قبل وصول الموجات البشرية النازحة من الشمال. وتميزت تلك الحضارة الدرافيدية الهندية القديمة بالأزدهار مثل ازدهار حضارات وأدي النيل وبلاد ما بين النهرين، وبلاد الشام، واليمن، وغيرها. وأظهرت التنقيبات الأثرية مدينتين هامتين هما (هاربا) و (مهنجودارو) ** ، اللتين دلت أثارهما على مهارات فنية وبخاصة في ميادين عمل النسيج وصهر المعادن وطرق المعاجن كالنحاس والبرونز ... وربما دامت سلطات هاربا و مهنجودارو نحو تسعمائة سنة وتركت أثرها في الهند وحضاراتها ومعتقداتها [٤] . أكتشف الهنود اخيرا تاريخ الهند ما قبل الغزو الآري أي ما قبل عام ١٥٠٠ قبل الميلاد، لان الاريون قدموا الى الهند في العام نفسه كغزاة. في الحقيقة الحضارة التي كانت سائدة في شبة القارة الهندية هي حضارة الدراويديون وهذة الحضارة ليست كحضارة الأريون (السنتكريتية) و (الهندية) ، تدلل الاثار المكتشفة في مدينة مهنجودارو من عجلات وأواني فخارية على أنها شبيهة بمظاهر الحياة في أرض سومر العربية . وهذا ما يؤكده العالم أ. كوندراتوف: بقوله: " ويجد اللغوين معالم التشابة بين لغة الدرويديين ولغة العبيديين الذين عاشوا في وادي دجلة والفرات قبل

السومريين وكثيرا ما كانوا يتحدثون عن الوطن الجد الغريق وعن " مملكتهم التي ابتلعتها مياه البحر ". وكان هولاء العرب الذين دعوا بالسومريين ونقلوا معهم ترابهم وقصصهم وذكرياتهم عن " الوطن الغريق " و " بحر الوطن " و " الجنة المفقودة تحت الماء " وجنة " دلمون " البحرية (٥).

يقول البرفيسور " جاك لابيري " أكبر علماء المناخ في اوروباء اليوم بهذا الصدد ما يلي: " ان حضارات القدامى بزغت وتلاشت بفعل حركة ارتفاع او انخفاض منسوب البحر والمياه فوق مستوى الارض. لنأخذ مثلا السومريين. لقد ظهروا فجأة منذ حوالي ستة ألاف سنة عند نهري دجلة والفرات. كانوا يملكون أسلحة متطورة بالنسبة الى ذلك الزمان، ويعيشون حضارة ناشطة فمن أين جاءوا؟؟ ان علم المناخ وألأرصاد يدل على أنة حين كان سطح المحيط منخفضا أي أقل ارتفاعا عما هو بمئة متر. فالسومريين كانوا موجودين في مكان ما، من المؤكد أنهم كانوا قرب نهر يؤمن لهم الشرب واستمرارية الحياة، أنذاك كان البحر يغطي مدخل الخليج العربي الحالي، وكان نهر دجلة والفرات نهرا واحدا يسير وسط منطقة الخليج "الحالي " ليصب في المحيط الهندي. اذن كان بحر الخليج ارضا يابسة يجتازها النهر المذكور كان سهلا واسعا وخصبا وفي هذا السهل منذ ألاف السنين، حيث كان مستوى البحر منخفضا ١٠٠ متر، حدثت حتما عملية انتقال الانسان من حالة العصر الحجري القديم الى حالة العصر الحجري الأخير " المزارعين الثابتين ". لقد تم ذلك منذ حوالي ثمانية او تسعة الأف سنة وقد ظل سطح البحر يرتفع منذ سبعة الأف سنة دافعا بالسومريين الاوأئل الى منطقة الشمال الغربي، فبلغ البحر ومنذ خمسة ألف سنة المستوى الحالي الذي نعرفه. فاستقر السومريين في مدينة أور وضواحيها والمعروف ان المدن الكبرى القديمة في بلاد الكلدان توجد على بعد ١٤٠ كيلومترا تقريبا من هذه الاراضي. وهذا المستوى كان الأقصى الذي بلغتة مياة البحر منذ ٥٥٠٠ سنة، وحين انحسرت مياه البحر فيما بعد بقي السومريين

حيث كانوا." [٦] .

أن حضارة الدراويديون العرب في وادي السند تتطابق مع الحضارات البابلية ففي مجال البناء والعمران هنالك تطابق مع البابليين حيث تتشابة المدن ، وتدلل الاثار المكتشفة ان الطابون الحراري نفسة الذي استخدم في ارض الرافدين استخدم في وادي السند قي مدينتي مهنجودارو وهاربا ، وليس ذلك فحسب بل كان هنالك ازدهار تجاري ما بين وادي السند وحضارة اور ، واكتشف اختام تتشابة مع نفس الاختام الموجودة في حضارة اور بالأضافة الى ان الفخار الموجود في بابل نفسة الفخار الموجود قي وادي السند، كل ذلك يدلل على أن الحضارة الموجودة قبل قدوم الاريين الى الهند هي نفس مضاهر الحضارة العربية القديمة في ارض الرافدين ،اما كيف اختفت الحضارة العربية في ارض السند والهند ،فهنالك اكثر من نظرية او فكرة ، لكن من المؤكد ان هنالك نظريتان

النظرية الاولى: تقول ان قدوم الاريين في العام ١٥٠٠ قبل الميلاد الى الهند من اواسط اسيا ادى الى تدمير هذة الحضارة وهروب سكانها الى الجنوب.

النظرية الثانية: تقول ان ارتفاع منسوب مياة نهر الاندوس ادى الى طمر وتدمير تلك الحضارة، على كل حال هاتان النظريتان لم يقنعا علماء الاثار بنتيجة نهائية عن انتهاء حضارة وادي السند [٧] .

على كل حال لقد تشكلت فيما بعد حضارة الدراويدون العرب في ارض السند والهند حضارة اسمها حضارة الاندو – آريان ، وهي كذلك ميراث لحضارة الدراويديون العرب ، لكن اللغة السنتكريتية التي جاء بها الاريون الغزاة هي التي سادت ارض الهند والسند ، رغم ان الاريين قد جاءوا كغزاة الى الهند وليس اصحاب رسالة حضارية انسانية، بل أنهم تسربوا الى الهند كقبائل رحل،وتميز أفرادها بقوة المحاربين المقاتلين الأشداء فوق عربات تجرها الخيول القوية... مما جعل السكان الدراويديين الأصليين يتجهون الى الجنوب ،

وينشرون حضارتهم في شبة القارة الهندية . وقد وصف الآريون بأنهم مهاجرون لهم أجسام قوية، وشهية للطعام، ووحشية في الهجوم، ومهارة في الحروب ، وشجاعة في القتال ، مما جعلهم ذوي سيادة على الهند . وكانت لغة هولاء الأريين هي اللغة السنتكريتية التي ظهرت بها مؤلفات دينية كثيرة توارثتهاالأجيال شفهيا قبل ان تدون لتفحظ نهائيا كجزء من التراث الثقافي الروحي الهندي. ورأى وليم جونز أن السنتكريتية أكمل من لغة اليونان، وأوسع من لغة الرومان وأرق من كلتيهما معا. اذن تشكلت الحضارة الهندية من تياران واحد للحواس والاخر للعقل، واحد للشكل والاخر للفكر على هذا النحو تطورت الحضارة الهندية منذ ان عرفها الانسان، تارة يلتقيان وتارة يفترقان، أحدهما كان دارويدي وألاخر آري ، الاول ابتكر الموسيقى والرقص والرسم والنحت والفنون والعمارة،أي ابتكر بأختصار مختلف مشاهد وأصوات وأريج الحضارة الهندية اليوم ، وألآخر ابتكر عالم الفكر ... ابتكر الفلسفة الهندية وعالم افكارها (٨) . وهكذا ساهمت حضارة الدراويديين العرب في ارساء الحضارة الهندية الحاضرة، وصهرت معها حضارة الآريين رغم سلبيات الحضارة الآرية والتي تقوم على مبدأ الطبقات. الا انها في النهاية أستوعبت هذة الحضارة العربية الآرية القادمة من الغرب وأنشئت فيما بعد الحضارة الاندو – آريان وهذا القول ليس سليما، الا ان تناقل علماء الاثار والتاريخ لهذا المصطلح جعله هو السائد، لكنة وجب علينا ان نقول الحضارة العربية – الآرية أمتزجت فأنجبت الحضارة الهندية الحاضرة. فهي حضارة رائعة بكل المقاييس. وهناك دوما تعمد في اخفا الوجة الحضاري العربي في كل مكان حتى الحضارة العربية الاسلامية والتي ما زالت ماثلة وملموسة في الكثير من بلدان العالم يسعى العلماء الى أخفائها وألباسها لحضارات اخرى دون وجة حق رغم ان الحضارة بشكل عام ليست حكرا على أحد. فأمة العرب دوما مركز اشعاع حضاري تعطي للأخر وتأخذ منة إذا دعت الضرورة. ومن الهند أنتشرت الحضارة العربية الدراويدية نحو

الصين. يقول أحدى سفراء الصين السابقين في الولايات المتحدة السيد هوشي: " الهند فتحت الصين ثقافيا وبسطت سيطرتها الثقافية عليها على مدى ٢٠ قرنا دون أن تكون بحاجة لارسال جندي واحد عبر الحدود " (٩) .

ومن الصين نحو اليابان وهذا الاشعاع الحضاري الذي اشع على شعوب العالم القديم، آنذاك في الألف السادس والخامس والرابع والثالث قبل الميلاد هو الذي اسس لحضارات الشرق والغرب معا. وفيما بعد عندما أسس وترجم العرب المسلمون العلوم بمختلف أنواعها. انها ارض العرب التي اعطت الآخر من عطرها وعرق جبينها لتعطر بقية أنحاء المعمورة، انها امة العرب التي علمت اليونان القراءة والكتابة على يد الفنيقيين العرب وأنشئت حضارة الرومان على يد الفنيقيين العرب في الالف الاول قبل الميلاد أيضا. انها حضارة العرب الفنيقيين الذين عبروا الاطلسي لينشئوا حضارة امريكا اللاتينية في الالف الثالث قبل الميلاداي قبل مجيء كريستوف كولومبوس والاوروبيين الى امريكا ب ٢٥٠ قرن. وفي هذا الإطار يقول الراهب والمفكر الاسباني خوان أندريس: " أن العرب هم أصل كل العلوم الانسانية ". فالحضارة الاسلامية في الاندلس هي التي أعارت للغرب كله وليس لإسبانيا فقط، العقلانية والتنوير، وأسباب النهضة فكانت المفردات العربية تدخل كل اللغات، وهناك آلاف المفردات الاسبانية ذات الاصل العربي تأثرت بالحضارة العربية في الأندلس قبل السقوط، وقد أثر العرب في كبار كتاب ومفكري المسرح الاسباني (١٠) . ومن هذا المنطلق وجب تسليط الضوء على التاريخ بأعتبارة اخطر العلوم الانسانية شأنا، اذ هو العلم الموسوعي الشمولي الوحيد الذي يتضن نشاط الشعب أو الامة المادية والروحية، ويحمل سماتها وملامحها، وبه، ومن خلاله تتجدد القسمات القومية والسياسية والحضارية لأفراد الامة جيلا بعد جيل، وبتالي فأن اي تزوير عفوي أو مقصود لتاريخ اي شعب ، انما هو في النتيجة ، تشوية لشكل وجوده القومي ، ولشخصية كل فرد من أبنائة على حدة . لذا تنظر جميع الشعوب المتقدمة الى

تاريخها القومي نظرتها الى امنها القومي ، تستبين خطوطة وملامحة ضمن حقيقة تواصلة ، وتكتبة بأيدي أبنائها وحدهم ، وتسيج علية وتتصدى لكل من يحاول أن يعبث بة أو يغيرة بة من الخارج وتحملة ادوارا تعليمية وتربوية وطنية وقومية تجعل ، من خلالة ، من أفراد الأمة الواحدة جسما واحدا له ماض وحاضر وتطلعات مستقبلية واحدة ، وان الامم المتخلفة أو النامية اليوم هي أكثر الامم اهمالا لتاريخها ، وان العرب يكادون يكونون الوحيدين في هذا العالم يرسلون أبناءهم الى خصومهم والطامعين فيهم ليتعلموا على أيديهم تاريخهم . السيد طوشيو دوكو رئيس اتحاد الهيئات الاقتصادية اليابانية وخلال الندوة الخاصة ب " مجالات التعاون بين البابان والوطن العربي " والتي عقدت في طوكيو باليابان يومي ١١ و١٢ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٧٦ ، برعاية كل من منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول وأتحاد الهيئات الاقتصادية الكبرى في اليابان (كيدانرين ومجلس أبحاث الموارد الدولية اليابان) ومركز اليابان للتعاون مع الشرق الاوسط يقول : " ان اليابان ، وان كان يفصلها عن العالم العربي بحران وقارة شاسعة ، قد كانت المستفيد الاكبر من حضارتكم حتى منذ عهد الامبراطورية القديمة التي ازدهرت في ديار الاسلام . ما كان لكم من فن الطب وما رافقة من مستشفيات كاملة التجهيز قبل اربعة قرون من ولادة مثيلاتها في أوروبا، وما كان لكم من اكتشافات في مبادئ علم البصريات، واختراعكم للتلسكوب وغيره من الآلات، وصقلكم لعلم المثلثات حتى جعلتموه فنا: كل ذلك وغيرة كثير من التطورات كان له الفضل في اغناء حياتنا وقد انتقل معظمة الينا عن طريق ايطاليا واسبانيا وغيرهما من الاوساط الاوروبية كما جاءنا بعضة برا عن طريق الحرير عبر آسيا ". ويضيف والواقع أن تلك النعم التي أنهمرت من العلوم العربية هي في صلب أسس اليابان الصناعية. أما بذور هذا التعاضد العالمي المستجد فقد زرعت بالفعل قبل مئات السنيين. وبعد ذلك بقرون انشأت اليابان مجتمعا صناعيا خاصا بها التصقت فية التصاقا رأسخا

العلوم والتكنولوجيا الأتية من الغرب بجذورنا الاجتماعية التقليدية. ولكن إذا نظرنا الى الماضي السحيق أدركنا عمق روابطنا بالعالم العربي. (١١) . هذة شهادة احدى مقدري الحضارة العربية واثرها في نمو حضارة بلدة اليابان ودون مبالغة نقول ان تاريخنا العربي الذي هو دونما اية مبالغة، تاريخ التمدن البشري على هذا الكوكب ، يكاد يكون الوحيد الذي تضافرت علية جهود الدول الكبرى بكل مؤسساتها وامكاناتها من اجل مسخة وتقزيمة وان مثل ذلك التزوير الهائل لم يكن ليتم بالصورة التي هو عليها اليوم لولا أن واقعا كارثيا تعيشة مؤسساتنا الثقافية والتعليمية في الوطن العربي منذ بداية عصر الاستعمار وحتى اليوم . لقد عمدت الدول الاستعمارية الى احداث مؤسسات استشراقية كان هدفها منذ البداية خلق الظروف والذرائع من اجل تمرير المخططات الاستعمارية وتبرير الوجود الاستعماري في المنطقة. فبترت العربي عن ماضية المجيد، وقزمت شخصيته وشكل وجودة على الارض التي عمرها وأبدع فيها، ووضع بإنجازاته الحضارية المذهلة الأساس الحقيقي الراسخ الذي قامت علية حضارات كل الامم الأخرى فيما بعد، وحولته الى وجود هامشي بدائي متخلف، متطفل منذ القدم على حضارات الآخرين.

وصار على العربي اليوم، لكي يعرف لغته وتاريخه، أن يذهب الى معاهد وجامعات تلك الدول التي عممت ورسخت ذلك التزوير، فيجري تلقينه تلك الصورة الشوهاء المقزمة لتاريخ شعبه، ثم يتحول في وطنه الى مجرد وسيط ينحصر دورة في نقل تلك الصورة وترسيخها في أذهان الأجيال العربي. وضمن هذا المخطط وحدة، ودون اي تدخل من أجهزة الدولة في البلدان العربية مجتمعة وكلا على حدة، أخذت تتم عملية اعداد ودفع " الكوادر " التي من شأنها أن تمسك بمقاليد أمور الثقافة والاثار، بحيث لا تخرج عن الخط ولا تتعدى نطاق الإطار المرسوم. ان بلدا عربيا واحدا لم يأخذ على عاتقة حتى هذا اليوم، انشاء معاهد مركزية قومية حقيقية لتدريس اللغة العربية القديمة بكافة لهجاتها

وكتاباتها وبتسميتها الصحيحة، فيتولى خريجوها من بعد، الاضطلاع بهذه المهمة القومية العظمى وهي قراءة هذا التراث الزاخر الهائل الذي تزخر بة الارض العربية. لقد بقيت هذة المهمة حتى اليوم منوطة بالأجانب وحدهم، بمن فيهم اليهود الصهاينة. ان دور مديرية الاثار لا يتعدى، في معظمه، تسلم بعض ما يجود بة الدارسون الأجانب لتوزعها دونما أي بحث أو مناقشة أو دراية، على معاهد التعليم ومؤسسات الاعلام والثقافة والسياحة، وكثيرا ما يستبق القائمون على الآثار نتائج الاستكشاف، ليقرروا نتائج وأحكام ومقولات هي صميمها صهيونية أو مغرضة . ان المكتشفات الأثارية ما تنفك تؤكد يوما بعد يوم أن تاريخ الوطن العربي هو تاريخ التمدن البشري على هذا الكوكب. فقد أثبتت بما لا يبقى مجالا للشك أن انساننا كان اول من عرف الزراعة وفن البستنة ، وأول من بنى المدن ، وشيد الحصون والقلاع ، وأول من عرف المعدن وأستخدامة وأتقن فن التعدين وصناعة الادوات واول من صنع الفخار والدولاب ، وأول من أثبت دوران الارض حول الشمس ، فدرس بناء على ذلك ظاهرة الخسوف والكسوف ، ووضع المواقيت والتقاويم وأول من صنع الفخار والدولاب ، وأول من أكتشف ، ومن عهد بابل أن الارض كروية ، وأنها هي التي تدور حول الشمس ، فدرس بناء على ذلك ظاهرة الخسوف والكسوف ، ووضع المواقيت والتقاويم لأول مرة ، ووضع النظام الستيني منذ عهد بابل والذي ما زال مستخدما حتى اليوم ، فقسم بموجة النهار الى ١٢ ساعة، والساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية. والشهر ثلاثون يوما، وتنظيم دوائر الابراج، والابراج اثنا عشر. وتوصولوا ايضا الى النتائج الحسابية الفلكية المذهلة المترتبة عليها من التعرف على ظاهرة الخسوف والكسوف والتنبوء بها، الى وضع التقاويم. هذا النظام الذي لم يحد العالم عنة قيد شعرة حتى هذا اليوم وذلك قبل ان يتوصل غاليليو وكوبر نيكوس الى القول بدوران الارض حول الشمس وتعتبر بدعة في أوروبا القرون الوسطى بما ينوف عن ٢٥٠٠

سنة. والعرب هم اول من صنع السفن وأبحر في البحار والمحيطات، وأوجد خطوط التجارة الدولية في البر والبحر ودار حول رأس الرجاء الصالح وبلغ الشواطيء الامريكية منذ الالف الثاني والاول قبل الميلاد (أي قبل كريستوف كولومبس بما ينوف عن ألفين وخمسمائة عام). وهم العرب اول من ابدع عقيدة الخصب الزراعية بكل تقاليدها وتعاليمها وآدابها وأساطيرها وفنونها ، وأول من أبدع عقيدة التوحيد ، وأول من عرف الكتابة واخترع الابجدية ، وصنف الكتب والمكتبات ، وبنى المدارس ، ووضع القواميس منذ الالف الثالث قبل الميلاد (كما أثبتت مكتشفات ماري) وأوول من صنع المنول والمكوك وعرف الحياكة والنسيج ، وأول من بنى دولة مركزية كبرى بالمفهوم الحقوقي والاداري والسياسي والاقتصادي والعسكري ، ووضع الانظمة وشرع القوانين ، وضرب النقود وبنى الجيوش وأول من عرف الخدمة العسكرية ، وأول من وضع جواز السفر، وأول من وضع تشريعات الزواج وبناء الاسرة ، وأول من شرب الخمور ، وصنع العطور ، وأحدث مجالس الشراب ، والشورى والندوة . وأول من وضع نوتة موسيقية في العالم وكان ذلك في الالف الثالث قبل الميلاد من مكتشفات أوغاريت بسوريا، وهي تقوم على السلم السباعي الدياتوني الذي نقلة فيثاغورث الصوري الى بلاد اليونان عام ٥٠٠ قبل الميلاد أي بعد أكثر من الفي عام من وضعة على ايدي قدماء العرب السوريين. وأول من عرف القهوة ونقل زراعتها الى جميع دول العالم اليوم. وفي المجال السياسي كان العرب هم اول من وضع مجلسين استشاريين للشيوخ والشباب ، والعرب هم اول من تزين بالحلي والكحل ولبس الجوارب ، وعرف الشطرنج والنرد والداما ... نعود لنقول : بالرغم من هذا كلة ، فقد تحول تاريخنا العربي القديم اليوم ، على أيدي المزورين في الخارج و" النقلة " في الداخل ، الى تاريخ مجموعات من القبائل البدوية الرعوية ، نتيجة للروح التعصبية التزويرية التي سادت كتابة التاريخ على يد الغرب الاستعماري ، فانقلبت كل الحقائق راسا على عقب ، وصارت

أثينا وروما ، اللتان كانتا جزءا من الانجاز الحضاري العربي السوري ، كما صار يتاكد اليوم ، مرضعتين للحضارة على الارض. وفوق هذا كلة فقد مزقت وحدة الشعب العربي اللغوية والحضارية ، فجرى عن عمد وتصميم تغييب الهوية العربية حيث يسعى اعداء العروبة الى الغاء الاسم العربي عن المنجزات الحضارية وأستبدالها بأسماء ويافطات مثل : العصر الحجري ، العصر النحاسي ، عصر البرونز عصر الحديد ، وكأنما لم يكن ثمة شعب هو صاحب ابداعات تلك العصور وانجازات استخدام المعدن ، ثم ما أن ياتي الزمن الذي يفترض فية وجودا هندو أوروبيا مزعوما في تلك الحضارة حتى تصير التسميات فجأة مقرونة بأسماء الشعوب والأقوام ، فنتعرف على ما يدعى ب "العهد" و " الأثار الرومانية " و " الأثار البزنطية " ، والأثار الاسلامية ... الخ . فمثلا الاثار الموجودة في بلاد الشام مثل المدرج في عمان ومدينة جرش الاردنية تسمى وللأسف بالآثار الرومانية علما بأن عرب الاردن قد بنو مدينة البتراء في الألف السادس قبل الميلاد اي قبل مجيء الرومان. هذا من جانب اما على الجانب الاخر للحضارة العربية في الاردن فكيف نفسر كلمة المدرج الروماني في عمان، هل بني المدرج على يد الرومان؟ ام على يد العرب الاردنيون في مرحلة الاحتلال الروماني، لا شك الذين قاموا ببناء هذا المدرج هم العرب الاردنيون انذاك ولكن من المؤسف جرى تزوير للحقيقة المطلقة حينما استعمر الانجليز والفرنسيون الوطن العربي، وصاغوا مناهجنا المدرسية وأصبحنا نردد وبدون شك ما كتب في هذة المناهج المزيفة. العرب الفينيقيين هم من اسس الحضارة الرومانية وهنالك الكثير من اباطرة روما هم من العرب السوريين ونقل الفينيقييون العرب الحضارة العربية الى بلاد الرومان وهم الذين اسسو مدينة روما ، حيث ان اولئك السوريين الفينيقيين الذين حكموا في الخارج ولا سيما في روما وشعروا بالتنافس الخارجي سرعان ما كانوا بعمدون الى الاصرار على ابراز أصلهم العربي ، فها هو " سبتيمو سفيرو " امبراطور

روما (١٩٣ – ٢١١) وهو فنيقي من لبدة " طرابلس الغرب حاليا " أصر على ان يكون " العربي " من بين القابة الثلاثة وقد حكم هو وزوجتة الحمصية جوليا التي تحولت في روما من امبراطورة الى ربه ثم ابنها جيتا ، ثم ابنها كراكلا ويعني اسمة حصن الرب ، وكان هذا الاسم يطلق على عباءة أو مدرعة عربية قديمة ، ثم ابنة اختها جوليا ميزا ثم جوليا سيما ثم جوليا ماميا . كما ان فيليب العربي من شهبا في حوران الامبراطور العربي السابع الذي حكم روما أصر هو الاخر على ان يكون لقبة الأوحد " العربي " فدعي " فليبو أربيو " وترجم الى اللغات الأخرى philip The Arab ولم يكن سوى احساس أكيد من أولئك الفنيقيين العظام بأنتمائهم العروبي الأصيل وهم يبنون حضارة روما (١٢) .

وحكم الرومان ايضا الامبراطور السوري هيليو جبال، ومعنى لقبه (سبحان الخالق) وليس (إله الجبل) كما يزعم وهو الذي وطد الحكم في روما، وحارب البرابرة في اوروبا في منطقة الدانوب وأنتصر عليهم ، وأستعان بأقربائة السوريين في الحكم ، وجعل أخاة قائدا على جيوش الشرق . وفي عهد الامبراطورة السورية جوليا دومنا عرف اليونان وبقية انحاء اوروبا زراعة القمح على يد السيدة السورية " سيريس " (السيدة ، الشعرى) (١٣) . ولم تكن بلاد الرومان قبل مجيء العرب الفينيقيين اليها سوى جماعات من السكان يعيشون حياة بدائية بنظام الغاب فانتظمت حياتهم فيما بعد وانتظمت حياة بيقية سكان القارة الاوروبية على يد العرب الفينيقيين. وبهذا الانتظام لسكان القارة الاوروبية يكون العرب اصحاب رسالتين مؤثرتين في حياة الاوروبيين:

الاولى: عندما فتحت بلاد الروم واليونان على يد العرب الفنيقيين.

الثانية: على يد العرب المسلمون عندما اسسو للنهضة الاوروبية الحديثة (العلوم) بمختلف انواعها انطلاقا من الاندلس.

الخاتمة

وهكذا كانت حضارة العرب تبني ولا تهدم تعترف بالأخر وتندمج معة ولا تقتل ولا ترفضه، على عكس الحضارة الغربية اليوم التي اسست على عبادة المال وكره للأخر واستعباد البشر واثارة الفتن. وها نحن نرى ما يجري في العراق وفلسطين وافغانستان وفي فيتنام سابقا. ويوغسلافيا كيف فتت وفيه السودان كيف يسعون لتدميرة ونزف موارده وأمثلة كثيرة على هذة الحضارة الهمجية الغربية التي تستخدم التطور العلمي الذي اسسة اجدادنا العرب والمسلمون في الاندلس فيستخدم للقتل والابادة والفتن واثارة النزاعات ... الخ. لذلك أود ان اقول في النهاية ان الحضارة الانسانية هي جهد بشري خالص، لكن هنالك تفاوت بين الامم الا ان الفضل الأكبر يعود للعرب والمسلمين في بناء هذة الحضارة ولا يجوز أن نقول ان الحضارة اليوم مختصرة على الاوروبيون واليابانيون، فالحضارة هي: " نتاج لجهود جميع شعوب العالم من الهند والصين والعرب وافريقيا وأتراك وامريكان لاتينيون وهنود حمر، وهكذا هي الحضارة الانسانية اليوم يساهم بها الجميع من اجل الجميع " .

المهم في ذلك ان لا تستخدم نحو القتل والتدمير كما بفعل اليوم قيادات الدول الاستعمارية وبقية شعوب العالم المنحرفون نحو القتل والدمار المتعطشون للدماء وللكراهية الجياع الذين لا يشبعون. المرتزقة الذين لا يملكون أنفسهم مقابل حفنة بسيطة من الدولارات لان الامور في النهاية ستؤدي الى مزيد من الدمار والقتل والكراهية وسيفشل هولاء المشروع الحضاري الانساني الذي اسسة العرب القدماء في الالف الثامن قبل الميلاد وتناقلة من بعدهم العرب المسلمون الى ان وصلت الحضارة البشرية اليوم من تطور علمي الى ما هي علية. وأذا ما استمر الاستعمار بنهج سياسة الاحتلال والاستغلال وبث الفتن ستنهار الحضارة الانسانية وسيدفع الجميع ثمن لهذا التهور وستكون حضارة الانسان في مهب الرياح. لذلك على عقلاء الانسانية العمل بكل جدية على انقاذ

هذا المشروع الانساني الضخم الذي عمرة الزمني تجاوز العشرة الآف سنة حتى تعود البشرية الى حياتها الطبيعية تتعاون ولا تتقاتل تعطي وتأخذ ولا تأخذ فقط!! كم كانت جملية حياة البشر عندما كانت قوافل التجارة البشرية تعبر الصحراء والمحيطات والبحار دون ان يعترضها أحد. لم يكن هنالك قراصنة في البحر ولا البر ايضا كما هو اليوم وباسم القانون الدولي المزيف، الذي وضع لخدمة الاقوياء على حساب الضعفاء! وقد يتساءل البعض لماذا لم يسجل اجدادنا لنا في مدوناتهم أنتماءهم العربي أو لماذا لم يطلقوا على دولتهم نعت العروبة؟ فأن ذلك لم يكن يشكل مسألة قائمة في ذلك الزمن، فقد كانت دولتهم هي الوحيدة سواء في بلاد ما بين النهرين سوريا والعراق والأردن، أم في وادي النيل مصر وبقية البلاد العربية. وكانت العروبة شيئا يعيشونة ويمارسونة من خلال اللغة الواحدة كما يتنفسون الهواء ويشربون الماء دونما أي ما من شأنة أن يشعرهم بأن عليهم ان يؤكدوا هويتهم، اذ أنهم كانوا أينما تنقلوا وحلوا من الخليج شرقا الى الاطلسي غربا ومن شواطيء البحر الأسود شمالا الى بحر العرب جنوبا يجدون ان لغتهم هي لغة التفاهم والتوصل الوحيدة فكان التمايز والتنافس ليس مع دولة أجنبية ولم يكن لها بعد من وجود، بل مع منافسين داخليين ، وكانت ألقابهم في بلاد اليونان " السادة المعلمون ، أبناء الالهة ". وعودة على ذي بدء فقد جاءت هذة المقدمة المتواضعة عن قصة الحضارة لتوضح للقارىء مسيرة الحضارة الانسانية كيف بدأت واين وصلت وما دور العرب والمسلمون.

المراجع

١ – د. أحمد داوود، العرب والساميون والعبرانيون وبني اسرائيل واليهود. ط ١، دمشق،

دار المستقبل، ١٩٩١، ص ٢٢

٢ – المصدر نفسه. ص ٢٦.

٣ – المصدر نفسه. ص ٢٣.

* - " الدرويديين هم العرب العبيديين الذين هاجروا في الألف الثامن قبل الميلاد الى ارض

الهند والسند، وهم نفس الدرافيديون والخلاف في اللفظ حيث يلفظ الهنود حرف الواو بالفاء

(ف)، فبدلا من الدرويديين يقولون الدرافيديون، وبما ان الكتاب والعلماء الذين

زارو مدينة مدينة مهنجودارو في الهند قد نقلوا الكلمة على لسان الهنود، حيث

استبدلت الواو بالفاء، وهذا التاكيد نتيجة لمعرفتي في الهند حيث أكملت دراستي

الجامعية الاولى والعليا هناك، فهذا ما لاحظتة من خلال التعامل والمحادثة

مع الهنود، فمثلا تلفظ كل مة Don’t warry باللغة الانكليزية على لسان الهنود

ب .Don’t vary لذا فالخلاف في التسمية جاء بسبب اللفظ ليس الا"

** - " هاربا ومهنجودارو، مدينتان تقعان في باكستان اليوم على ضفاف نهر

اندوس (السند) ومنهما انتقلت الحضارة الى باقي انحاء شبة القارة الهندية "

٤ – "الحضارة الهندية"، مجلة الهند، العدد (١٥٠) نيسان ١٩٩٧، دمشق

، السفارة الهندية، ص ٣٠ – ٣١.

٥ – المصدر السابق، ص ٢٣.

٦ – المصدر نفسه، ص ٢٦.

٧- Mrs. Geeta Lal Sahai, World –civilization. publisher.pustak mahal Delhi .1992. p:32-38.

٨– " الحضارة الهندية " مجلة الهند، العدد (١٦٠) كانون الاول / كانون الثاني

١٩٩٨، دمشق، السفارة الهندية، ص ٢٣.

٩ – المصدر نفسه، ص٢٠.

١٠– د. جمال عبد الرحمن، " اوراق ثقافية " مجلة فلسطين المسلمة، العدد

(٥) ايار/ مايو ٢٠٠٧، بيروت، ص ٥٥.

١١ – اوراق بحثية، قدمت الى الندوة الخاصة ب " مجالات التعاون بين اليابان

والعالم العربي" طوكيو، تشرين الثاني ١٩٧٦. ص ١٨.

١٢– د. احمد داوود، مصدر سابق، ص ٣٩ -٤٥.

١٣ – المصدر نفسه، ص ٤٩.